مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (3) العدد(10)ج2- يونيو 2024م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: x 145-2812 الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812- 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

انحطاط الدلالة في كتاب الأم للشافعي (ت204هـ)؛ نماذج مختارة

إعـــــــــداد

أ. راضي محمد حسين سليم
باحث دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب – جامعة العريش

أ.د/ عصام الدين عبد السلام أبو زلال
أستاذ علوم اللغة بكلية الآداب
بجامعة العريش

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol **(3)** Issue **(10)2 - June 2024**
Printed ISSN:2812-541x **On Line ISSN:2812-5428**
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

انحطاط الدلالة في كتاب الأم للشافعي (ت204هـ)؛ نماذج مختارة

أ. راضي محـــمد حسين سليم

باحث دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة العريش

أ.د/ عصام الدين عبد السلام أبو زلال

أستاذ علوم اللغة بكلية الآداب

بجامعة العريش

مستخلص البحث

هذا البحث محاولة للإسهام في ربط اللغة بكتب التراث الفقهي، وقد تنـــاول هذا البحث نماذج مختارة من انحطاط الدلالة في كتاب الأم للشافعي (ت204هـــ)، ومن أهدافه: الإفادة من معطيات الدرس اللغوي الحديث في تحليل الشواهد اللغوية؛ للكشف عن انحطاط الدلالة، ودلالات هذا الانحطاط في كتاب الأم للشافعي، ورصد موقف بعض المفسرين وأصحاب المعاجم اللغوية من هذه الظاهرة، وقـــد توصـــل الباحثان إلى أن هناك تغيرًا دلاليًّا قد أصاب بعض الكلمات في الشواهد اللغوية فـــي كتاب الأم للشافعي، وأن كتاب الأم للشافعي قد اشتمل على مظاهر عديدة لانحطـــاط الدلالة، وهذا يدل على أن اللغة العربية لغة قابلة للتغير والتطور كغيرها من اللغات.

الكلمات المفتاحية: التغير الدلالي، الدلالة، انحطـــاط الدلالـــة، كتـــاب الأم، الشافعي.

Abstract

This research is an attempt to contribute to linking language with books of jurisprudential heritage. It examines selected examples of semantic deterioration in Kitab al-Umm by Al-Shafi'i (d. 204 AH). Among its objectives is to benefit from the findings of modern linguistic studies in analyzing linguistic evidence to uncover semantic deterioration and its implications in Kitab al-

Umm. The research also aims to document the positions of some interpreters and lexicographers regarding this phenomenon.

The researchers concluded that certain words in the linguistic examples from Kitab al-Umm have undergone semantic change and that the book contains numerous instances of semantic deterioration. This indicates that the Arabic language, like other languages, is subject to change and evolution.

Keywords: Semantic change, semantics, semantic deterioration, Kitab al-Umm, Al-Shafi'i..

المقدمة

الحمد لله الذي تقدّست ذاته، وتعالت صفاته، والصّلاة والسلام على سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين، وبعد، فإنَّ اللّغة آية من آيات الله سبحانه وتعالى ومعجزة من معجزاته، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[1]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2]، فاللّغة العربية لغة عالمية تزخر بأصولها ومناهجها الواضحة، وهي تتميز عن غيرها بعدة خصائص ومزايا، لعل من أبرزها تنوع استعمالاتها وسعة مجالاتها وعمق دلالاتها، وقابليتها للتغير، وعدم جمودها.

واللغة باعتبارها كائناً حيًّا فإنها عرضة للتغير، فهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تتطور بتطور المجتمع، وترتقي برقيه كما تنحط بانحطاطه، فهناك ألفاظ يكون أصلها معنى رفيع وشريف، ثم تتحول من خلال الاستعمال إلى معنى ضعيف ومتدني، فالألفاظ في اللغة كما يحدث لها ارتقاء في الدلالة فكذلك قد تنحط دلالاتها، ويطلق عليها "انحطاط الدلالة"، وهو اتجاه في التغير الدلالي يطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تدل في الأصل على معاني شريفة ورفيعة، فأصبحت تدل على معاني مبتذلة ومتدنية في المجتمع، فهو تغيير

(1) الروم: {من22}.

(2) إبراهيم: {من4}.

دلالي معاكس لرقي الدلالة، بحيث يتغير اللفظ من قوة وسمو وتأثير في الأسماع الى معنى ضعيف مبتذل، وهذا النوع يعنى بالكلمات التي دلالتها تعد في نظر الجماعة نبيلة ورفيعة وقوية نسبيًّا، ثم تحولت الى دلالات أقل وأدنى مرتبة، وهذا النوع يُطلق عليه "انحطاط الدلالة". وانطلاقًا مما سبق، فقد توجه الباحثان لدراسة انحطاط الدلالة في كتاب الأم للشافعي (ت204هـ)؛ نماذج مختارة.

ويسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- تقديم تعريف انحطاط الدلالة وأسبابه في الدرس اللغوي الحديث.

2- الإفادة من معطيات الدرس اللغوي الحديث في تحليل الشواهد اللغوية؛ للكشف عن انحطاط الدلالة، ودلالات هذا الانحطاط في كتاب الأم للشافعي.

3- رصد موقف بعض المفسرين وأصحاب المعاجم اللغوية من هذه الظاهرة، وما ورد من إشارات في كتب المعاجم والتفاسير والدراسات المعاصرة، وتوظيف ما ورد من ذلك في البحث.

وتقتصر مادة البحث على الشواهد اللغوية المتنوعة وهي شواهد القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعرًا ونثرًا، وذلك في كتاب الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ (ت204هـ)، وهذا الكتاب هو:

- كتاب الأم، تحقيق وتخريج: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، ، 1422هـ -2001م.

ويعتمد الباحثان في هذ البحث على المنهج الوصفي الذي يقوم على الوصف والاستقراء والتحليل والتفسير، من خلال رصد الشواهد اللغوية في كتاب الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ (ت204هـ)، والتي اشتملت على ألفاظ حدث لها انحطاط في دلالتها، وبيان الأثر الدلالي لهذا الانحطاط، مع الاستعانة بما ورد في كتب التفسير واللغة وعلوم القرآن، وكتب التراث الفقهية والأصولية وغيرها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقع في مبحثين تسبقهما المقدمة، وتعقبهما الخاتمة وفهرس المصدر والمراجع، على النحو الآتي:

المقدمة: وتدور حول أهداف البحث، ومادته، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: انحطاط الدلالة؛ المفهوم والمصطلح.

المبحث الثاني: انحطاط الدلالة في كتاب الأم للشافعي.

- **خاتمة البحث:** وتضمنت أهم النتائج.
- **المصدر والمراجع.**

المبحث الأول: انحطاط الدلالة؛ المفهوم والمصطلح

إنَّ هناك تغيير دلالي معاكس لرقي الدلالة بحيث يتغير اللفظ من قوة وسمو وتأثير في الأسماع الى معنى ضعيف مبتذل، فتصاب الدّلالة بالضعف والانهيار، فتنحط بعد سموها وارتقائها، وهذا ما يُطلق عليه الانحطاط الدلالي. وسوف يتم في هذا المبحث تناول تعريف انحطاط الدلالة في المعجم والاصطلاح، ثم بيان أسباب انحطاط الدلالة.

أولًا: تعريف انحطاط الدلالة pejorative change:

سوف يتم هنا تناول تعريف الانحطاط في المعجم والاصطلاح.

1- تعريف الانحطاط في المعجم.

الانحطاط في اللغة يطلق على عدة معاني منها الابتذال والنزول والانحدار للأسفل، فقد جاء **عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في معجم مقاييس اللغة:** «الْحَاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِنْزَالُ الشَّيْءِ مِنْ عُلُوٍّ. يُقَالُ حَطَطْتُ الشَّيْءَ أَحُطُّهُ حَطًّا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {حِطَّةٌ}[1]، قَالُوا: تَفْسِيرُهَا اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا أَوْزَارَنَا»[2]، ومنه انحطاط

---

(1) البقرة: {من 58}.

(2) انظر: ابن فارس (أبو الحسين أحمد، ت٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، راجعه وعلق عليه: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2008م، مادة (ر ق ي).

الشمس «فَكَأَنَّهَا تنزلق فِي ذَلِك الْوَقْت فَلَا تزَال فِي انحطاط حَتَّى تغرب»[1]، **وفي تاج العروس للزبيدي (ت1205هـ):** «النُّزول، بالضَّمّ: الحُلول وَهُوَ فِي الأصلِ انحِطاطٌ من عُلو»[2]، وكذلك انحطاط الماء عند مصبه[3]، هو النزول والانحدار للأسفل.

ويتضح مما سبق أنَّ المعنى اللغوي للانحطاط يدور حول النزول والهبوط والانحدار للأسفل.

2- تعريف انحطاط الدلالة في الاصطلاح.

انحطاط الدلالة هو الاتجاه المعاكس لرقي الدلالة، فكما قد ترتقي وتسمو الدلالة في ألفاظ، قد تنحط في ألفاظ أخرى «غير أنّ ضعف الدلالة وانحطاطها أكثر ذيوعًا في اللغات بوجه عام»[4]، والمقصود بانحطاط الدلالة تغير دلالة الألفاظ وتحولها من تلك المعاني الراقية الرفيعة إلى دلالات منحطة ومتدنية، فتقل قيمتها وتنهار قوتها تبعًا لتغير ظروف الحياة عامة والاجتماعية منها على وجه الخصوص، مما يجعلها ذات دلالات تزدريها الجماعة اللغوية[5]، كما يطلق هذا النوع من أنواع التغيّر الدلاليّ على ما يصيب الكلمات التي كانت تشير إلى معانٍ نبيلة رفيعة قوية، ثمّ

---

(1) انظر: ابن قتيبة الدينوري(أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت276هـ): غريب القرآن، تحقيق: عبد الرازق بن محمد بن أحمد البكري، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط3، 1442هـ - 2020م، 321/1.

(2) انظر: الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني، ت١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، طبعة الكويت، د.ط.، ٢٠٠٢م، 30/ 478.

(3) انظر: الفراهيدي (الخليل بن أحمد، ت170هـ): العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ- 2003م، 178/3.

(4) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984م، ص 158.

(5) حميدي نعيمة ولرادي محمد: مظاهر التغير الدلالي في القرآن الكريم والحديث الشريف، بحث، معهد اللغات والأدب العربي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، 2012م، ص 15.

صارت تدلُّ على معانٍ أقل من ذلك مرتبة[1]، فهو عبارة عن ما يصيب الدلالة من ضعف أو انهيار، أي تفقد الدلالة شيئًا ما من دلالتها، فتفقد مكانتها من بين الألفاظ، إذن فإنه تحول من الأفضل إلى الأدنى، ويُطلق عليه انحدار المعنى dejeheratioh أو انحطاط الدلالة[2].

وقد شرح منقور عبد الجليل الانحطاط بقوله: «قد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة، وتهبط إلى الحضيض في وقت قصير، فقد كانت دلالة "طول اليد" كناية عن السخاء والكرم، وهي قيمة عليا، لكنها أضحت وصفًا للسارق، إذ يقال له: "هو طويل اليد"»[3]. وأغلب الألفاظ التي تصيبها الخسة بعد الرفعة، هي تلك المتعلقة بالألقاب الاجتماعية أو السياسية ككلمة "الحاجب" التي كانت تعني في عهد الدولة الأندلسية "رئيس ديوان الخلافة"، ثم انحطت دلالتها حتى أطلقت على العامل الواقف بباب المحكمة أو أية مصلحة حكومية، وكلمة "السيد" التي كانت تطلق على زعيم القبيلة وسيد القوم، ثم هبط معناها فأصبحت تطلق على كل مواطن.

كما قد لوحظ أن أكثر الكلمات التي تُنزع إلى أن تنحط دلالتها هي خاصة بتلك التي تدور حول الجنس وما يتصل به، وحول الزهو الطبقي، وحول ما يثير الجماعة الكلامية من مشاعر كالخجل، مثل: أسماء قطع الملابس الداخلية، والخوف

---

(6) انظر: عبد الكريم محمد حسن جبل: في علم الدلالة؛ دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1426هـ – 2015م، ص 107

(7) انظر: فايز الداية: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق؛ دراسة تاريخية – تأصيلية – نقدية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1996م، ص 222. الفصل السابع الدلالة.

(1) انظر: منقور عبد الجليل: علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د.ط، 2001م، ص 72.

والذعر، والموت والمرض، وحول الألقاب (الحاجب والوزير)، وحول ما يثير بطبيعته اشمئزازًا أو نفورًا[1]. ومن الأمثلة على انحطاط الدلالة:

– الحاجب: هذه اللفظة كانت تعني: "رئيس الوزراء"[2]، ثم ابتذلت هذه اللفظة بمرور الزمن، وأصبحت بمعنى"الخادم".

– بهلول: كانت تعني هذه اللفظة: "السيِّد" ثم ابتذلت فأصبحت تعني: "البهلوان"، وهو الشخص الذي يؤدي الألعاب المضحكة[3].

فهناك علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي فكلاهما يدور حول النزول والانحطاط في القيمة.

ثانيًا: أسباب انحطاط الدلالة:

تفقد بعض الألفاظ شيئًا من رونقها وهيبتها في ذهن الناس لكثرة دورانها وشيوعها ولأسباب سياسية واجتماعية، كما تعتبر تغير دلالي معاكس لرقي الدلالة بحيث يتغير معنى اللفظ من قوة وسمو وتأثير في الأسماع إلى معنى ضعيف أو مبتذل ويكون ذلك نتيجة عوامل متعددة منها[4]:

1– فسر بعضهم اتجاه الدلالة نحو الانحطاط بأنه دليل على وجود نزعة تشاؤمية في العقل الإنساني[5]، وتنحط الدلالة أيضًا لداعي التعصب، ومحاولة إهانة من كان

---

(2) انظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997م، ص 281.

(3) عليان بن محمد الحازمي: علم الدلالة عند العرب، بحث في مجلة جامعة القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،ج١٥، ع ٢٧، جمادى الثانية،١٤٢٤هـ، ص 715.

(4) نفسه، ص 715.

(5) ربيعة برباق: الدلالة المعجمية عند العرب؛ دراسة نظرية وتطبيقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة العقيد الحاج لخضر، الجزائر، 2012م، ص 364– 366.

(6) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر، ط1، 1990م، ص 180.

يسيطر أو من يحسب عدوًّا باستعمال الألفاظ المرموقة في أشياء أقل قيمة نكاية به، مثل كلمة (وزير) العربية أصبحت تعني (شرطي)
بالأسبانية، وفي الإيطالية (مساعد عشماوي) أي مساعد جلاد[1].

2- يمكن تفسيره بارتباط الألفاظ ودلالتها بالنواحي النفسية والعاطفية، فالألفاظ ذات الدلالة الخاصة بالقبح أو القذارة أو الغريزة الجنسية أكثر عرضه للانحطاط من غيرها.

وفي اللغة العربية نجد الألفاظ التي تدل على قضاء الحاجة في تطور مستمر، فكلما شاع استعمال لفظ تنحط دلالته، فيستبدل به لفظ آخر؛ لذا نجد في العربية الكنيف، والمرحاض، وبيت الأدب، وبيت الخارج، والمستراح.

3- سوء سمعة الكلمة لطول ارتباطها بمدلول غير كريم، فتطرح هذه الكلمة، وتستعمل كلمة أخرى في مكانها غير مثقلة بارتباطات ممجوجة من جهة المعنى[2]، فالكلمات الآتية مثلًا: كنيف الششمة "كلمة فارسية"، الكرسي المستراح، بيت الراحة، بيت الأدب، المرحاض[3]، تعاقبت على مر الزمن على مكان قضاء الحاجة، فكلما انحطت دلالة لفظ استعاض الناس عنه بلفظ آخر أكثر قبولًا عند الناس.

4- من أسباب انحطاط الدلالة الضعف الإنساني أمام الأشياء التي لا قوة له في ردها، أو تشكل منطقة مظلمة في تفكيره مثل الموت والمرض والعالم الروحي؛ لذلك يحاول الهروب من هذه الألفاظ التي تثير لديه الخوف[4].

5- من أسباب انحطاط الدلالة أيضًا التبادلات السياسية والاجتماعية، وانحطاط الظروف التي ارتبط بها اللفظ سياسيًّا وهو أبرز مظهر؛ حيث تنحط دلالة بعض الكلمات بعد أن كانت تعني أشياء كبيرة ومرموقة مثل كلمة (أفندي) كانت تعني

---

(1) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص 57.

(2) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006م، ص322.

(3) إبراهيم أنيس: نفسه، ص 142.

(4) نفسه، ص 143.

مستوى مرموقًا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولكن التبادلات السياسية خلال القرن العشرين حطت كثيرًا من دلالة هذه الكلمة.

6- تغير المعتقدات الدينية، مما يؤدي إلى تغير الأحكام من الأشياء والسلوكيات، ومثال ذلك تطور دلالة الخمر، حيث كانت في الجاهلية رمزًا للكرم والضيافة يتفاخر الناس باقتنائها ودفع المال لشراء دنانها، والشعراء يصفون آنيتها ولون شرابها، ولما جاء الإسلام حرم تعاطيها وأصبحت أم الخبائث، ومن شربها لحقه العار ووصف بالفسق وأصبح من الفجّار.

7- ابتذال الكلمة مما يؤدي - عادة - إلى أن تنحط دلالتها، أو تندثر الكلمة فلا تجري على الألسنة، ولا ترد في الاستعمال، وكان بعض علماء العربية يشيرون في ثنايا كتبهم إلى هذا الابتذال، فمثلًا كلمة "خشّ" بمعنى "دخل" كلمة مبتذلة، رغم أنها عربية صحيحة[1].

فيتضح مما سبق إن الألفاظ في حركة دائبة، فتتردد دلالاتها بين الرقي والانحطاط، فربما تكون دلالة اللفظة راقية في مجتمع ما ودلالة اللفظة ذاتها في مجتمع آخر منحطة، ومدار هذا الرقي وذاك الانحطاط هو استعمالات المجتمع، وظروفه الاجتماعية والنفسية، فالكلمة تخضع لعوامل مختلفة تؤثر في معناها فتغيرها، فاللفظة بعدما كانت تحمل معنى شريفًا وساميًا تصبح تحمل معنى منحطًّا ووضيعًا، وهذا بحسب تحكم المجتمع في مدلولات الألفاظ.

المبحث الثاني: انحطاط الدلالة في كتاب الأم للشافعي

انحطاط الدلالة هو الاتجاه المعاكس لرقي الدلالة، وقد جاء الانحطاط الدلالي في كتاب الأم للشافعي في مواضع عديدة، منها:

---

(5) نفسه، ص 157.

1- انحطاط دلالة «الكعب»:

جاء لفظ الكعب في كتاب الأم للشافعي عدة مرات منها: قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1]، ومنها ما رُوي عن عبد الله بن عمر: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يلبس المحرم ثوبًا مصبوغًا بزعفران أو ورس، وقال من لم يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل من الكعبين»[2].

جاء انحطاط الدلالة في كلمة {الكعب}، فكلمة الْكَعْب فِي لُغَةِ الْعَرَبِ اسْمٌ لِمَا اسْتَدَارَ وَعَلَا وارتفع، **قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ):** «الْكَافُ وَالْعَيْنُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نُتُوٍّ وَارْتِفَاعٍ فِي الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ الْكَعْبُ: كَعْبُ الرَّجُلِ، وَهُوَ عَظْمُ طَرَفَيِ السَّاقِ عِنْدَ مُلْتَقَى الْقَدَمِ وَالسَّاقِ، وَالْكَعْبَةُ: بَيْتُ اللَّهِ تَعَالَى، يُقَالُ سُمِّيَ لِنُتُوِّهِ وَتَرْبِيعِهِ، وَكَعَبَتِ الْمَرْأَةُ كَعَابَةً، وَهِيَ كَاعِبٌ، إِذَا نَتَأَ ثَدْيُهَا»[3]، **وقال ابن منظور (ت٧١١هـ):** «أَعْلى اللَّهُ كَعْبَه أَي أَعْلى جَدَّه، وَيُقَالُ: أَعْلى اللَّهُ شَرَفَه، وَفِي حَدِيثِ قَيْلَةَ: "وَاللَّهِ لَا يَزالُ كَعْبُك عَالِيًا"، هُوَ دُعاء لَهَا بالشَّرَف والعُلُوِّ. قَالَ ابْنُ الأَثير: والأَصل فِيهِ كَعْبُ القَناة، وَهُوَ أُنْبُوبُها، وَمَا بَيْنَ كلِّ عُقْدَتَين مِنْهَا كَعْبٌ، وكلُّ شيءٍ عَلَا وَارْتَفَعَ، فَهُوَ كَعْبٌ»[4].

والكعب في اللغة: «اسم لما علا وارتفع، ومنه سميت الكعبة كعبة، وأصله من كعب القناة، وهو أنبوبها سمي به لارتفاعه. وتسمى الجارية الناهدة الثديين كاعبًا

---

(1) المائدة: {من 6}.

(2) الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس، ت 204هـ): الأم، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1422هـ-2001م، 2/ 160.

(3) انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ك ع ب).

(4) انظر: ابن منظور (محمد بن مكرم، ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، ط6، 2008م، مادة (ك ع ب).

لارتفاع ثدييها، وكذا في العرف يفهم منه الناتئ، يقال ضرب كعب فلان، وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في تسوية

الصفوف في الصلاة: «ألصقوا الكعاب بالكعاب» ولم يتحقق معنى الإلصاق إلا في الناتئ»[1].

ثم حدث للفظة تغير دلالي عن طريق انحطاط دلالتها؛ فأصبحت تعني عقب الإنسان وأسفل القدم، قال الشافعي: «والكعبان هما العظمتان النَّاتِئَانِ، وَهُمَا مُجْتَمَعُ مَفْصِلِ السَّاقِ وَالْقَدَمِ وَعَلَيْهِمَا الغسل كالمرفقين. قال الْمَاوَرْدِيُّ: وَهَذَا صَحِيحٌ، الْكَعْبَانِ هُمَا النَّاتِئَانِ بَيْنَ السَّاقِ وَالْقَدَمِ»[2].

وقال بعض الفقهاء: الْكَعْبُ مَا وَصَفَهُ الشَّافِعِيُّ لُغَةً وَشَرْعًا أما اللغة فمن وجهين: نقل واشتقاق. فأما النَّقْلُ فَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنْ قُرَيْشٍ، وَنِزَارٍ، كُلِّهَا مُضَرَ وَرَبِيعَةَ، لَا يَخْتَلِفُ لِسَانُ جَمِيعِهِمْ أَنَّ الْكَعْبَ اسْمٌ لِلنَّاتِئِ بَيْنَ السَّاقِ وَالْقَدَمِ وَهُمْ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ لِسَانُهُمْ مُعْتَبَرًا فِي الْأَحْكَامِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَلِأَنَّ الْقُرْآنَ بِلِسَانِهِمْ نَزَلَ. وَأَمَّا الِاشْتِقَاقُ فَهُوَ أَنَّ الْكَعْبَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ كُلِّهَا اسْمٌ لِمَا اسْتَدَارَ وَعَلَا وَلِذَلِكَ قَالُوا قَدْ كَعَّبَ ثَدْيُ الْجَارِيَةِ إِذَا عَلَا وَاسْتَدَارَ وَجَارِيَةٌ كُعُوبٌ. وَسُمِّيَتِ الْكَعْبَةُ كَعْبَةً لِاسْتِدَارَاتِهَا

وَعُلُوِّهَا وَلَيْسَ يَتَّصِلُ بِالْقَدَمِ مَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الِاسْمَ إِلَّا مَا وَصَفَهُ الشَّافِعِيُّ لِعُلُوِّهِ وَاسْتِدَارَتِهِ، فَهَذَا مَا تَقْتَضِيهِ اللُّغَةُ نَقْلًا وَاشْتِقَاقًا، وَأَمَّا الشَّرْعُ فَمِنْ وَجْهَيْنِ نَصٌّ وَاسْتِدْلَالٌ: أَمَّا النَّصُّ فَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ النَبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، وَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ

---

(1) انظر: الكاساني (علاء الدين أبو بكر بن مسعود، ت ٥٨٧هـ): بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: محمد محمد تامر ومحمد الزيني ووجيه محمد علي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2005م، 1/ 7.

(2) انظر: الماوردي (علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، ت ٤٥٠هـ): الحاوي الكبير، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، 128/1.

الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ»[1]، وَقَالَ صلى الله عليه وسلم لِجَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ: «ارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ»[2]. فَدَلَّ نَصُّ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ عَلَى أَنَّ الْكَعْبَيْنِ أَسْفَلُ السَّاقِ لَا مَا قَالُوهُ مِنْ ظَاهِرِ الْقَدَمِ»[3].

وقال الشافعي: ولا أقيد يمنى من يسرى ولا خنصرًا من غير خنصر يدها أو رجلها، وهكذا في هذا أن يقطع رجله من مفصل الكعب أو مفصل الركبة[4]، وقال: «تقطع الرجل من الكعب الذي فيه المفصل بين الساق والقدم»[5]. فالكعب عند الشافعي هو أسفل الساق في رجل الشخص.

فهناك تغير دلالي في كلمة الكعب، حيث كانت تدل على ما اسْتَدَارَ وَعَلَا وارتفع ثم انحطت دلالتها، وأصبحت تعني العظمتان النَّاتِئَانِ، وَهُمَا مُجْتَمَعُ مَفْصِلِ السَّاقِ وَالْقَدَمِ.

دلالتها القديمة	دلالتها بعد الانحطاط
جمع كاعبة، بمعنى المتعالى والمرتفع شأنًا، ويعني المرتبة الرفيعة، فكلمة الكعب كانت تدل على ارتفاع الشيء.	انحطت دلالتها فأصبحت تطلق على عقب الإنسان ومؤخر الحذاء.

(3) أحمد بن حنبل (ت241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ووآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م، 64/18.

(4) موسى شاهين لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ - 2002م، 345/8.

(5) انظر: الماوردي: الحاوي الكبير، 128/1.

(6) انظر: الشافعي: الأم، 57/6.

(7) انظر: نفسه، 7/ 192.

2- انحطاط دلالة «الخوض»:

جاء لفظ الخوض في كتاب الأم للشافعي عدة مرات منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

جاء انحطاط الدلالة في كلمة {الخوض}، فكلمة الخوض في اللغة تطلق على الشروع في الماء والعبور فيه.

قال **الخليل بن أحمد (ت170هـ)**: «خُضْتُ الماء خَوْضًا وخِياضًا، واختضتُ، وخَوَّضتُ تَخويضًا أي: مَشَيْتُ فيه، والخَوْضُ: اللبس في الأمر. والخَوْض من الكلام: ما فيه الكذب والباطل»[2]، وأصل الخَوْضِ: «المَشْي في المَاءِ وتَحْرِيكُه، ثم يُستَعمل في التَّلبُّس بالأَمْر والتَّصَرُّف فيه»[3]. وقال **ابن منظور (ت711هـ)**: «خَاضَ الماءَ يَخُوضه خَوْضًا وخياضًا واخْتاضَ اخْتِياضًا واخْتاضَه وتَخَوَّضَه: مَشَى فِيهِ؛ أَنشد ابْنُ الأَعرابي من (البحر الرجز):

كأَنه فِي الغَرْضِ إِذْ تَرَكَّضَا دُعْمُوصُ ماءٍ قَلَّ مَا تَخَوَّضَا[4]

أَي هُوَ مَاءٌ صافٍ، وأَخاضَ فِيهِ غَيْرَهُ وخَوَّضَ تَخْوِيضًا. والخَوْضُ: المَشْيُ فِي الْمَاءِ، وَفِي الْحَدِيثِ: رُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى؛ أَصْل الخَوْض: المشيُ فِي الْمَاءِ وتحريكُه، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي التَّلَبُّسِ بالأَمر وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ، أَي رُبَّ مُتَصَرِّفٍ فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: "يَتَخَوَّضُون فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى".

---

(1) الأنعام: {68}.

(2) انظر: الفراهيدي: العين، مادة (خ و ض).

(3) انظر: أبو موسى المديني (محمد بن عمر بن أحمد بن عمر، ت٥٨١هـ): المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط2، 1426هـ - 2005م، 625/1.

(4) انظر: إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م، 372/10.

والخَوْضُ: اللَّبْسُ فِي الأَمر. والخَوْضُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا فِيهِ الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ، وَقَدْ خاضَ فِيهِ، وخاضَ القومُ فِي الْحَدِيثِ وتَخاوَضُوا أَي تَفَاوَضُوا فِيهِ. وأَخاضَ القومُ خيلَهم الماءَ إِخاضةً إِذا خَاضُوا بِهَا الْمَاءَ»[1].

وجاء في التفسير: «ومعنى الخوض في اللغة الدخول في الماء، ثم يتفرع منه الدخول في الأمر بالقول»[2]، وقال محمد الأمين الهرري: «الخوض في اللغة: هو الشروع في الماء والعبور فيه، ويستعار للأخذ في الحديث والشروع فيه، يقال: تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه، لكن أكثر ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث»[3]. قال الشافعي: «ولو صب على الماء ماء ورد فظهر ريح ماء الورد عليه لم يتوضأ به؛ لأن الماء مستهلك فيه والماء الظاهر لا ماء الورد، وكذلك لو صب عليه قطران فظهر ريح القطران في الماء لم يتوضأ به وإن لم يظهر توضأ به؛ لأن القطران وماء الورد يختلطان بالماء فلا يتميزان منه. ولو صب فيه دهن طيب أو ألقي فيه عنبر أو عود أو شيء ذو ريح لا يختلط بالماء فظهر ريحه في الماء توضأ به؛ لأنه ليس في الماء شيء منه يسمى الماء مخوضًا به، ولو كان صب فيه مسك أو ذريرة أو شيء ينماع في الماء حتى يصير الماء غير متميز منه فظهر فيه ريح لم يتوضأ به؛ لأنه حينئذ ماء مخوض به وإنما يقال له ماء مسك مخوضة، وذريرة مخوضة، وهكذا كل ما ألقي فيه من المأكول من سويق أو دقيق ومرق وغيره إذا ظهر فيه الطعم والريح مما يختلط فيه لم يتوضأ به؛ لأن الماء

---

(1) انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (خ و ض).

(2) انظر: الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، ت ٤٦٨هـ): التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ - 2008م، 483/20.

(3) انظر: محمد الأمين الهرري: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، 407/8.

حينئذ منسوب إلى ما خالطه منه[1]. فالخوض عند الشافعي هنا بمعنى الخوض في الماء وتحريكه.

قال الراغب الأصفهاني (ت502هـــ): الخَوْضُ: هو الشّروع في الماء والمرور فيه، ويستعار في الأمور، وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذمّ الشروع فيه، نحو قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}[2]، وقوله تعالى: {وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا}[3]، وقوله: {ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[4]، وقوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}[5]،

وتقول: أَخَضْتُ دابّتي في الماء، وتخاوضوا في الحديث: تفاوضوا[6].

فالخوض في اللغة الشروع في الماء والعبور فيه، والمشي في الماء وتحريكه، ثم حدث لها تغير دلالي فانحطت دلالتها، وأصبحت تعني الأمر الذي يتصرف فيه الإنسان بغير حق. قال الشافعي: لما بعث الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه فرائضه كما شاء لا معقب لحكمه ثم أتبع كل واحد منها فرضًا بعد فرض في حين غير حين الفرض قبله. وإن أول ما أنزل الله عليه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}[7]، ثم أنزل عليه بعدها ما لم يؤمر فيه بأن يدعو إليه المشركين، فمرت لذلك مدة، ثم أُمر أن يعلمهم نزول الوحي عليه ويدعوهم إلى الإيمان به فكبر ذلك عليه وخاف التكذيب، فنزل عليه: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ

---

(4) انظر: الشافعي: الأم، 1/ 20.

(5) التوبة: {من 65}.

(6) التوبة: {من 69}.

(7) الأنعام: {من 91}.

(8) الأنعام: {من 68}.

(1) انظر: الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت 502هـ): المفردات في غريب القرآن، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2012م، ص 302.

(2) العلق: {1}.

لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[1]، فقال: يعصمك من قتلهم أن يقتلوك حين تبلغ ما أنزل إليك، فلما أمر به فاستهزأ به قوم فنزل عليه: قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}[2]، وأنزل الله عز وجل فيما يثبته به إذا ضاق من أذاهم، وفرض عليه إبلاغهم وعبادته، ولم يفرض عليه قتالهم، ولم يأمره بعزلتهم وأنزل عليه قوله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}[3] وقوله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ}[4]، وأمرهم الله عز وجل بأن لا يسبوا أندادهم فقال عز وجل: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}[5]، ثم أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الحال التي فرض فيها عزلة المشركين فقال: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}[6] مما فرض عليه فقال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ}[7][8]، فالخوض هنا الأمر الذي يتصرف فيه الإنسان بغير حق، وهو هنا الاستهزاء والتكذيب بالرسول وما جاء به.

قال الطبري (ت310هـ) في تفسيرة للآية القرآنية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا رأيت يا محمد، المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها إليك، ووحينا الذي أوحيناه إليك، و"خوضهم فيها"، أي استهزاءَهم

---

(3) المائدة: {من 67}.

(4) الحجر: {94، 95}.

(5) الكافرون: {1، 2}.

(6) النور: {من 54}.

(7) الأنعام: {من 108}.

(8) الأنعام: {من 68}.

(9) النساء: {من 140}.

(10) انظر: الشافعي: الأم، 4/ 168.

بها، وسبَّهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذيبهم بها فصد عنهم بوجهك، وقم عنهم، ولا تجلس معهم حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم، وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا، ثم ذكرت ذلك، فقم عنهم، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين، الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوضُ فيه»[1]، وقال: «كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي عليه السلام، والقرآن فسبوه واستهزءوا به، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره»[2].

فهناك تغير دلالي في كلمة الخوض، حيث انحطت دلالتها، فبعد أن كانت تدل على عبور الماء والمشي فيه وتحريكه أصبحت تدل على الأمر الذي يتصرف فيه الإنسان بغير حق.

دلالتها القديمة	دلالتها بعد الانحطاط
الشروع في الماء والعبور فيه، والمشي في الماء وتحريكه.	الأمر الذي يتصرف فيه الإنسان بغير حق..

3- انحطاط دلالة «العرج»:

جاء لفظ العرج في كتاب الأم للشافعي عدة مرات منها: قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}[3]، ومنها ما رُوي عن ابن جريج أنه قال لعطاء: أرأيت لو قتلت صيدًا فإذا هو أعور أو أعرج أو منقوص فمثله أغرم إن شئت؟ قال: نعم. قال ابن جريج فقلت: له وواف أحب إليك؟ قال: نعم»[4].

---

(1) انظر: الطبري (محمد بن جرير، ت 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م، 436/11.

(2) انظر: نفسه، 437/11.

(3) النور: {من 61}.

(4) الشافعي: الأم، 2/ 221.

جاء انحطاط الدلالة في كلمة {العرج}، فكلمة العرج فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ذهاب في صعود فكانت تستعمل للصعود والسمو والارتقاء، قال **ابن فارس (ت٣٩٥هـ):** «الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: الْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى مَيْلٍ وَمَيَلٍ، وَالْآخَرُ عَلَى عَدَدٍ، وَالْآخَرُ عَلَى سُمُوٍّ وَارْتِقَاءٍ، والْعُرُوجُ: الِارْتِقَاءُ، وَالْمَعْرَجُ: الْمَصْعَدُ، قال تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}[1]»[2]. وقال **الراغب الأصفهاني (ت502هـ):** العُرُوجُ: ذهابٌ في صعود. قال تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}[3]. وقال تعالى: {فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ}[4]، والمَعَارِجُ: المصاعد، قال تعالى: {ذِي الْمَعَارِجِ}[5]، وليلة المِعْرَاجُ سمّيت لصعود الدّعاء فيها إشارة إلى قوله: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}[6]، وعَرَجَ عُرُوجًا وعَرَجَانًا: مشى مشي العَارِجِ. أي: الذاهب في صعود، كما يقال: درج: إذا مشى مشي الصاعد في درجه[7].

وقال **ابن منظور (ت٧١١هـ):** «وَعَرَجَ يعرُج عُرُوجًا أَي ارْتَقَى، وعَرَج فِي الشيءِ: رَقِيَ، وعَرَج الشيءُ، فَهُوَ عَرِيج: ارْتَفَعَ وعَلا؛ وَفِي التَّنْزِيلِ: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ؛ أَي تَصْعَدُ، والمَعارِج: المَصاعِد والدَّرَج. وَقِيلَ: مَعارج الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ مَصاعِدها الَّتِي تَصْعَد فِيهَا وتعرُج فِيهَا، والمَعْرَج: المَصْعَد. والمَعْرَج: الطَّرِيقُ الَّذِي تصعَد فِيهِ الْمَلَائِكَةُ»[8].

ثم حدث للفظة تغير دلالي عن طريق تدني وانحطاط دلالتها؛ فأصبحت تطلق على من أُصيبت إحدى رجليه فصار له خلل وعيب في مشيته قال الشافعي:

---

(5) المعارج: {من 4}.

(6) انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ع ر ج).

(1) المعارج: {من 4}.

(2) الحجر: {من 14}.

(3) المعارج: {من 3}.

(4) فاطر: {من 10}.

(5) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 557.

(6) انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ع ر ج).

«الأعرج المقعد والأغلب أنه الأعرج في الرجل الواحدة»[1]. وقال أيضًا: ولو جنى جان على رجل أعرج، ورجله سالمة الأصابع يطأ عليها فقطعها من المفصل كان عليه القود إن كانت جنايته عمدًا فإن كانت خطأ ففيها نصف الدية إن شاء في العمد في مال الجاني ونصفها خطأ في أموال عاقلة الجاني[2]. وقال معلقًا على الأضحية: ولا تجزئ العرجاء وأقل العرج بين أنه عرج إذا كان من نفس الخلقة أو عرج خارج ثابت فذلك العرج البين[3]. فالعرج عند الشافعي هو العيب الخلقي والخلل في إحدى الرجلين سواء عند الإنسان أو غيره من الكائنات.

فيتضح مما سبق أن العرج انحطت دلالتها وتدنت فبعد أن كانت تدل على السمو والرفعة والارتقاء أصبحت ذات معنى متدني وأقل مرتبة من أصلها.

دلالتها القديمة	دلالتها بعد الانحطاط
ذهاب في صعود فكانت تستعمل للصعود والارتقاء والسمو.	ثم انحطت دلالتها فأصبحت تطلق على من أُصيبت إحدى رجليه فصار له خلل وعيب في مشيته.

4- انحطاط دلالة «النُّشُوز»:

جاء لفظ النُّشُوز في كتاب الأم للشافعي عدة مرات منها: قوله تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}[4].

جاء انحطاط الدلالة في كلمة {النُّشُوز}، فكلمة النُّشُوز فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الارتفاع ويطلق على الأرض المرتفعة، قال **ابن دريد (ت321هـ):**

---

(7) الشافعي: الأم، 6/ 86.

(8) نفسه، 2/ 247.

(9) نفسه، 2/ 247.

(1) النساء: {من 34}.

«النَّشْز: الرُّبْوَة من الأَرْض الغليظة، وكل نابٍ ناشز، وَمِنْه نَشَزَت المرأةُ عَن زَوجهَا ونشصَت، وَهُوَ النُّشوز والنُّشوص»[1]، وقال **ابن فارس (ت ٣٩٥هـ):** «النُّونُ وَالشِّينُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَعُلُوٍّ. وَالنَّشَزُ: الْمَكَانُ الْعَالِي الْمُرْتَفِعُ. وَالنَّشْزُ وَالنُّشُوزُ: الِارْتِفَاعُ»[2]، وقال **الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ):** النَّشْزُ: المُرْتَفِعُ من الأرضِ، ونَشَزَ فلانٌ: إذا قصد نَشْزًا، ومنه: نَشَزَ فلان عن مقرِّه: نَبا، وكلُّ نابٍ نَاشِزٌ، ويعبّر عن الإحياء بِالنَّشْزِ والإِنْشَازِ، لكونه ارتفاعًا بعد اتِّضاع. قال تعالى: {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا}[3][4].

فالنشز هو الارتفاع والعلو ويطلق على الأرض المرتفعة، ثم انحطت دلالتها فأصبحت تطلق على نشوز المرأة عن زوجها؛ أي استعصائها عليه وارتفاعها عنه وبغضه، قال تعالى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ}[5]، أي: النساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن، والنشوز: هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه، المبغضة له، فمتى ظهر منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه[6].

قال الشافعي: «وهكذا زوجته لو كانت ناشزة منه عاصية له عظيمة البهتان وترميه بالقذف قد سقته سمًّا لتقتله وضربته بالحديد لتقتله فأفلت من ذلك وبقيت ممتنعة منه وامتنع من فراقها إضرارًا لها، ثم مات فأوصى لها لم تجز وصيته؛ لأنها

---

(2) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن، ت321هـ): جمهرة اللغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2019م، مادة (ن ش ز).

(3) انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (ن ش ز).

(4) البقرة: {من 259}.

(5) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 806.

(6) النساء: {من 34}.

(7) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 14120هـ - 1999م، 119/4.

وارث»[1]، وقال الشافعي في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾[2]: يحتمل إذا رأى الدلالات في إيغال المرأة وإقبالها على النشوز فكان للخوف موضع أن يعظها فإن أبدت نشوزًا هجرها، فإن أقامت عليه ضربها وذلك أن العظة مباحة قبل الفعل المكروه إذا رئيت أسبابه وأن لا مؤنة فيها عليها تضربها، وأن العظة غير محرمة من المرء لأخيه فكيف لامرأته؟[3]، وقد يحتمل قوله {تخافون نشوزهن} إذا نشزن فخفتم لحاجتهن في النشوز أن يكون لكم جمع العظة والهجرة والضرب. وإذا رجعت الناشز عن النشوز لم يكن لزوجها هجرتها ولا ضربها لأنه إنما أبيحا له بالنشوز فإذا زايلته فقد زايلت المعنى الذي أبيحا له به[4]، وقال: ولو علمته يريد الاستبدال بها ولم يمنعها حقها فنشزت ومنعته بعض الحق وأعطته مالًا جاز له أخذه وصارت في معنى من يخاف أن لا يقيم حدود الله، وخرجت من أن يكون يراد فراقها فيفارق بلا سبب منها ولا منع لحق في حال متقدمة لإرادته ولا متأخرة[5]. فالنشوز عند الشافعي يُراد به نشوز المرأة عن زوجها أي استعصائها عليه وارتفاعها عنه وبغضه.

دلالتها القديمة	دلالتها بعد الانحطاط
الارتفاع والعلو ويطلق على الأرض المرتفعة.	ثم انحطت دلالتها فأصبحت تطلق على نشوز المرأة عن زوجها أي استعصائها عليه وارتفاعها عنه وبغضه.

(8) الشافعي: الأم، 2/ 221.

(1) النساء: {من 34}.

(2) الشافعي: الأم، 5/ 120.

(3) نفسه، 5/ 120.

(4) نفسه، 5/ 210.

حصر ألفاظ انحطاط الدلالة في كتاب الأم

انحطاط الـــــدلالـــــة				
&	الكلمة	المعنى قبل التغيير	المعنى بعد التغيير	نوع التغيير
1	الكعب	اسْمٌ لِمَا اسْتَدَارَ وَعَلَا وارتفع.	عقب الإنسان ومؤخر الحذاء.	انحطاط الدلالة
2	الخوض	الشروع في الماء والعبور فيه.	الأمر الذي يتصرف فيه الإنسان بغير حق	انحطاط الدلالة
3	العرج	ذهاب في صعود فكانت تستعمل للصعود والارتقاء والسمو	ثم انحطت دلالتها فأصبحت تطلق على من أُصيبت إحدى رجليه فصار له خلل وعيب في مشيته.	انحطاط الدلالة
4	النشوز	الارتفاع والعلو ويطلق على الأرض المرتفعة	ثم انحطت دلالتها فأصبحت تطلق على نشوز المرأة عن زوجها أي استعصائها عليه وارتفاعها عنه وبغضه	انحطاط الدلالة

ويُكتفى بهذا القدر، وهناك طائفة أخرى كثيرة من الألفاظ والمصطلحات التي احتوى عليها كتاب الأم للشافعي والتي انحطت دلالتها، ولكن نكتفي هنا ببعض الألفاظ.

الـــــخـــــاتـــــمـــــــة

هذا البحث محاولة للإسهام في ربط اللغة بكتب التراث الفقهي، وخدمة كتب التراث بإضافة جهد متواضع إلى جهود السابقين من خلال دراسة نماذج مختارة من انحطاط الدلالة في كتاب الأم للشافعي، فأيّ دراسةٍ لكتب التراث تعدّ محاولة للاقتراب من فهمها وبيان قيمة مؤلفيها، وتوصل البحث إلى النتائج الآتية:

1- يُعدُّ التغير الدلالي من المصطلحات الحديثة في علم اللغة، وهو أحد جوانب التطور اللغوي، ويُقصد به ذلك التغير الذي يصيب معنى الكلمة عبر العصور في لغة ما، والتغير الدلالي في جوهره هو تغير في العلاقة بين اللفظ ومدلوله، وما ينشأ عن ذلك من تلوين في شكل تلك العلاقة بفعل الانحطاط.

2- تحدث التغيرات في اللغة نتيجة عوامل كثيرة ومختلفة، كالاستعمال اللغوي، والأسباب الاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، والنفسية، ومن أبرز مظاهر التغير الدلالي: انحطاط الدلالة.

3- إن الألفاظ التي كانت في العصر الجاهلي ليست هي نفسها الألفاظ في العصر الإسلامي، فحينما جاء الإسلام تغيرت مفاهيم واستجدت مفاهيم، وتبعًا لذلك ظهرت ألفاظ وابتكرت مصطلحات، وألفاظ أخرى غير الإسلام دلالاتها إلى دلالات جديدة.

4- بلغت الألفاظ والمصطلحات الفقهية الواردة في كتاب الأم للشافعي وقد تغيرت دلالتها نحو الانحطاط (12 لفظًا).

5- اهتم الشافعي بدراسة المعنى وكانت الدلالة ركيزة من الركائز التي اعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن هناك تغيرًا دلاليًّا قد اعترى بعض الكلمات في الشواهد اللغوية – القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب شعرًا ونثرًا – في كتاب الأم للشافعي، والذي اتخذ أشكالًا متعددة، منها انحطاط الدلالة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اللغة العربية لغة قابلة للتغير والتطور كغيرها من اللغات.

قـــائمة الـــمصادر والمراجـــع

أولًا: الـــــمـــصـــــدر:

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النّجود.

* الشافعي (أبو عبد الله محـــمد بن إدريس، ت 204هـــ): الأم، تحقيـــق: رفعـــت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع، المنصـــورة، ط1، 1422هـــــ -2001م.

ثـــانـيًـــا: كـــتـــب الـــتـــراث الـــعـــربـــي:

(1)- ابن دريد (أبو بكر مـــحمد بن الحسن، ت321هـــ): جمهرة اللغة، تحقيـــق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2019م.

(2)- ابن فارس (أبو الحسين أحمد، ت٣٩٥هـــــ): معجم مقاييس اللغة، راجعـــه وعلق عليه: أنس مـــحمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2008م.

(3)- ابن قتيبة الدينوري (أبو مـــحمد عبد الله بن مسلم، ت276هـــــ): غريـــب القرآن، تحقيق: عبد الرازق بن محمـــد بن أحمد البكري، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط3، 1442هـــــ - 2020م.

(4)- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت774هـــ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الريـــاض، الســـعودية، ط2، 14120هـــ - 1999م.

(5)- ابن منظور (محمد بن مكرم، ت711هـــ)، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، ط6، 2008م.

(6)- أبو موسى المديني (محـــمد بن عمر بن أحمد بـــن عمـــر، ت٥٨١هـــــ): المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة

أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط2، 1426هـ - 2005م.

(7)- أحمد بن حنبل (ت241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ووآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.

(8)- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت 502هـ): المفردات في غريب القرآن، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2012م.

(9)- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني، ت١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، طبعة الكويت، د.ط.، ٢٠٠٢م.

(10)- الطبري (محمد بن جرير، ت 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م.

(11)- الفراهيدي (الخليل بن أحمد، ت170هـ): العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ- 2003م.

(12)- الكاساني (علاء الدين أبو بكر بن مسعود، ت ٥٨٧هـ): بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: محمد محمد تامر ومحمد الزيني ووجيه محمد علي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2005م.

(13)- الماوردي (علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، ت ٤٥٠هـ): الحاوي الكبير، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(14)- الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، ت ٤٦٨هـ): التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ - 2008.

ثالثًا: الكتب العربية الحديثة:

(15)- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984م.

(16)- إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م.

(17)- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006م.

(18)- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر، ط1، 1990م.

(19)- عبد الكريم محمد حسن جبل: في علم الدلالة؛ دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1426هـ - 2015م.

(20)- فايز الداية: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق؛ دراسة تاريخية - تأصيلية - نقدية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1996م.

(21)- محمد الأمين الهرري: شرح سنن ابن ماجه، مراجعة: هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، السعودية، ط1، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

(22)- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997م.

(23)- منقور عبد الجليل: علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د.ط، 2001م.

(24)- موسى شاهين لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ - 2002م،

رابعًا: المؤتمرات، والمقالات، والبحوث المنشورة في دوريات:

(25)- حميدي نعيمة ولرادي محـــمد: مظاهر التغير الدلالي في القــرآن الكــريم والحديث الشريف، بحث، معهد اللغات والأدب العربي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، 2012م.

(26)- عليان بن محمد الحازمي: علم الدلالة عند العرب، بحث في مجلة جامعــة القــرى لعلــوم الشــريعة واللغــة العربيــة وآدابهــا،ج١٥، ع ٢٧، جمــادى الثانية،١٤٢٤هـــــ.

خامسًا: الرسائل الجامعية:

(27)- ربيعة برباق: الدلالة المعجمية عند العرب؛ دراسة نظرية وتطبيقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة العقيد الحاج لخضر، الجزائر، 2012م.